

## نساء العراق.....لكنّ الله

بقلم  
د.بشرى العبيدي

قرأت في جريدة الصباح في عددها الصادر بالرقم 1175 في 1 / آب / 2007 خبر بعنوان (إدانة البرلمان موقف الفضائيات التي تعنى بعرض البضاعة الرديئة)، ورد فيه مقتطفات عن البيان الذي أصدرته (لجنة المرأة والأسرة والطفولة) في مجلس النواب تدين فيه ما عرضته بعض القنوات الفضائية من فيلم تسجيلي ظهرت فيه فتيات عراقيات يمارسن الرقص وأعمالا لا أخلاقية لسد الحاجة الاقتصادية لهن.

حقيقة تصورت في بداية الأمر إنني سأقرأ بيانا من هذه اللجنة تدين فيه الأوضاع التي دفعت بهؤلاء النساء لأن ينزلن في هذا الاتجاه، وتبادر لفتح تحقيق في الأسباب التي دفعت بهن لسلوك هذا الطريق وبمن دفعهن لسلوكه، وأنها ستقترح حولا لانتشالهن وتأمين حياة كريمة لهن، لأن هذا حقهن الدستوري، وواجب ألزمت الحكومة نفسها به تجاه مواطنيها، لاسيما النساء والأطفال، حسب نص المادة (30 - أولا) من الدستور العراقي: (تكفل الدولة للفرد والأسرة - وبخاصة الطفل والمرأة - الضمان الاجتماعي والمقومات الأساسية للعيش في حياة حرة كريمة ، تؤمن لهم الدخل المناسب والسكن الملائم)!!!

ولكن هالني ما قرأته في هذا البيان، وهالني التشبيه الفظيع واللا إنساني الذي أطلقته اللجنة على هؤلاء النساء اللاتي هن جزء من الشعب ومواطنات في المجتمع العراقي أولا وأخيرا، حيث ذكر الخبر المنشور: (لا يخفى على أولي الألباب أن هناك سلة نفايات في كل بيت أو محل ولا تعكس هذه النكرات صبر نساتنا اللواتي قارعن النظام الديكتاتوري البائد بالفضيلة والصبر وحب الحياة الكريمة المشرفة والشرف الرفيع).

أن هذا التشبيه المريض لهؤلاء النساء الضحايا، ضحايا الوضع البائس الذي أوجدته (الديمقراطية والحرية بمفهومها الحديث)، يذكرني بالعلاج الذي أوجدته أربع مدن كولومبية لأطفال الشوارع لديها، إذ وبحسب ما ورد عن مكتب اليونسف الإقليمي لأمريكا اللاتينية وبلدان الكاريبي أن هذه المدن قامت بإبادة (1678) ضحية من أطفال الشوارع خلال الستة أشهر الأولى من سنة 1994، بل وتعتقد الدراسة التي وردت عن هذا المكتب أن هناك رقما كليا لجميع أنحاء كولومبيا، ليصل إلى أربعة آلاف طفل شارع يقتل سنويا على يد جماعات عدّة،

منها الشرطة الوطنية، تحت شعار ((التطهير الاجتماعي)) فهذه الدول لا تعد هؤلاء الأطفال كائنات بشرية، فهم يطلقون على هؤلاء الأطفال تسمية ((القمامة)) وهم نتاج قمامة المجتمع....

هل هذا هو الحل الذي تقترحه لجنة المرأة والأسرة والطفولة لهذه المشكلة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؟ أن أولي الألباب يا سيداتي أعضاء هذه اللجنة بالتأكيد لن يذهبوا للاتجاه الذي ذهبتن إليه، لأن أولي الألباب سيفكرون ويتدبرون الحلول لهذه المشكلة، لأنهم لن يرضوا أن يكون شرفهم وعرضهم ومواطنيهم بهذا الحال، لاسيما وان دولة العراق ملتزمة دوليا بأن تتخذ جميع التدابير المناسبة بما في ذلك التشريع، لمكافحة جميع أشكال الاتجار بالمرأة واستغلال دعارة المرأة بحسب ما ورد في المادة (6) من اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، المصادق عليها من قبل العراق وملتزم بتنفيذ بنودها، كما أكد ذلك نص المادة (37) في الفقرة ثالثاً من الدستور العراقي بتحريم الاتجار بالنساء والأطفال والاتجار بالجنس.

كان الأجدر بهذه اللجنة أن تنظر إلى الموضوع في جوهره لا من قشرته... كان الأجدر بها أن تعمل على التأكد من حقيقة هذا الأمر وتقف على أسبابه، ومن ثم تبحث له عن حل وتجد له العلاج... إن ما خرج به هذا البيان هو نفض التراب عن مشكلة اجتماعية واقتصادية وسياسية، وإظهارها بشكل مشوه أمام المجتمع، كذلك إظهار عجز الدولة عن معالجة المشاكل وصون كرامة المواطن العراقي. وكما يبدو من فقرات هذا البيان، أن الهم الوحيد لهذه اللجنة هو الدفاع عن الحكومة وليس الدفاع عن من يفترض إنها تمثلهم... إذ ورد في إحدى فقرات البيان - حسب ما ورد في الخبر - (إن التحريض الأعمى والتأويل المريض لهما دوافع سياسية تسعى إلى أمرين الأول: إضعاف الحكومة أو إظهارها بالشكل الذي لا تستطيع معه إدارة البلاد والثاني: السعي الرخيص وراء المال السحت واستعطاف صدقة المنظمات الإنسانية والخيرية).

يا سيداتي أعضاء اللجنة ببيانكن هذا أظهرتن ضعف الحكومة وعجزها عن إدارة البلاد، إذ لولا ضعف الإدارة لما وصل الحال بنا إلى ما هو عليه الآن. لو إن الحكومة وفرت لمواطنيها الحياة الكريمة، حسب ما ألزمت نفسها به دستوريا، لما دفع الفقر الذي يعصف بأبناء شعبنا لأن ينخرط عدد غير قليل منهم في أعمالهم رافضين لها ولكنهم مجبرون عليها لأسباب كثيرة...أنهم ضحاياكم....

وجاءت الطامة الكبرى في الفقرة الأخرى من البيان المنشور: (ألم يكن النظام السابق يحتفي في مناسباته المختلفة برقصات عربيات يستلمن مبالغ واردة النفط مقابل الغذاء والدواء، وأليس في كل دول العالم مثل

هذه الحفنة الضالة عن سواء السبيل، ثم ألا يوجد في كثير من دول العالم مثل تلك الفتيات العاقات لشرفهن ووطنهن، فلماذا صار العراق وحده البلد المصدر (لا سامح الله) لهذه الخطايا السمجة).

أهذه هي النتيجة التي توصلت لها اللجنة، كان هناك فساد في الماضي، فما المشكلة أن يتواجد الآن أيضا، ونساء بعن أجسادهن في الماضي، فلا بأس أن يبعنه الآن أيضا، وما دام هناك في دول العالم مثل هذا الأمر، فما الضير أن يتواجد لدينا نحن أيضا – الدولة الثرية – ذلك!!!

سيداتي ... المشكلة والضير في كل ذلك إنكن الآن، مع أعضاء الحكومة الآخرين، موجودون لإنهاء ما كان يحصل في الماضي، ولرفع الحيف والظلم عن المواطنين، ولتوفير حياة كريمة لهم، غير التي كنا نعيشها في الماضي، ولتحقيق حياة مزدهرة غير التي كنا نحياها في الماضي، لتعزيز إنسانيتنا وإحساسنا بكرامتنا وأدميتنا، لكي نحيا نحمد الله على ما أصبحنا عليه. إننا الآن أيضا نحمد الله، ولكن لأنه الذي لا يحمده على مكروهه سواه.

سيداتي العزيزات... ادعوكن لان تشعرن بالآخرين، وان تنزلن من برجكن العالي وتختلطن بهموم نساء بلدكن، وتتحسسن مشاكلهن وقهرهن ومعاناتهن، ادعوكن لان تكنّ مواطنات عراقيات أولا وأخيرا. فإذا وجدتن أنفسكن غير قادرات على ذلك، غير قادرات على أن تكنّ صوت المرأة العراقية، غير قادرات على أن تضعن الحد لمشاكلها ومعاناتها، فأنا ادعوكن سيداتي، ومن باب احترامنا لكنّ، أن تتركن أماكنكن لغيركن، لان نساء العراق أعلى وأهمّ من أن يكن عرضة للنزاع السياسي الدائر في البرلمان وللأطماع والمصالح الشخصية، هن أعلى وأهمّ من الكراسي والمراكز، هن أعلى وأهمّ من سطحية التفكير والدفاع عن الباطل الذي تردن من نساء العراق أن يكن ضحية له.

وفي الختام يخطرني قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ((عليه السلام)) (من نسي زلله.... استعظم زلل غيره). وقول الخليفة عمر بن عبد العزيز (إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس... فتذكر قدرة الله عليك).  
إن على المجتمع أن يريد لأبنائه ما يريده كل أب وأم لأطفالهما.